رمضان ممنوع من الصرف*

ها نحن على أبواب شهر رمضان الكريم، شهر العبادة والصّلاة شهر التّوبة، الشهر الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس، الشّهر الفضيل. تعالوا ندخل إلى الموضوع مباشرة بدون لف أو دوران.

لا شكّ لدى الجميع أننا نعيش أيامًا عصيبة، صعبة سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا. أوضاع "تزداد سوءًا يومًا بعد يومٍ، بل ساعة بعد ساعة، وأنظار الجميع تتجه نحو شهر رمضان كامتحان لنا جميعًا في هذا البلد.

لدي إحساس، كما لدى غيري من النّاس، إنّ رمضان هذه السّنة سيكون مختلفًا عمّا سبقه من سنين. لا شكّ لدينا أنّ رمضان قد فقدَ في سنوات الكورونا اللعينة، شيئًا من قيمته اجتماعيًّا. حيث قلّت زيارات النّاس لبعضهم البعض والتزمنا جميعنا بيوتنا، وهجرنا الجلسات والجمعات الكبيرة والعزائم وما غيرها من المظاهر التي امتاز بها هذا الشهر الفضيل. وممّا لا شكّ لدي أنّ للعوامل السياسيّة والاقتصاديّة التأثير الأكبر على هذه المظاهر الاحتفاليّة التي طالما انتظرناها طويلًا.

هناك جملة تتردد في ذهني منذ أيام ولا تُغادرني، بل تترسخ أكثر وأكثر يومًا بعد يوم. هذه الجملة مفادها: "ارفعوا أيديكم عن شهر رمضان". عندما أقول: ارفعوا أيدكم عن هذا الشّهر الفضيل فإنّ واو الجماعة تعود إلى كل من تسوّل له نفسه بالمسّ بهذا

الشّهر المبارك، الشّهر الذي يرمز إلى الكثير الكثير من الذكريات والأُمنيات لدى الكبير والصّغير. ارفعوا أيديكم تعود إلى الجهات منها المسلمة وغير المسلمة. ارفعوا أيديكم ودعوا الخلق للخالق، فنحن بأمس الحاجة إلى هذا الشّهر. إننا نريد رمضانَ مختلفًا آخر، نريده لنا ولعائلتنا.

إنّ النّاس يعيشون في أزمة معيشيّة صعبة، يئنّ النّاس من قسوة المصاعب الاقتصاديّة، من غلاء في الأسعار، والأكل، والشّرب، والوقود. يبكي النّاس بصمت دون دموع حيث تنظر إليهم يجلسون أمامك واجمين سارحين مقهورين، بالهم مشغول في كيفية تأمين لقمة العيش، أو علبة الحليب لأطفالهم، أو تسديد مصاريف الدّراسة لأبنائهم أو دفع الفواتير المتراكمة يومًا بعد يوم أو ديون متأخرة تنتظر من يقوم بدفعها وتسديدها.

السّؤال الذي يراودني منذ أيام، كما يراود الكثيرين غيري من النّاس، وهو: أي رمضان نريد؟ أي رمضان نرغب؟ وإلى أيّ رمضان نسعى؟

نريد رمضان آخر، نريد رمضان لا نتحدث به عن الأكل والشّرب أو الفضائل. نريد رمضان يخفف عن النّاس متاعبها، لا رمضان يثقل على كاهلنا. نريد رمضان خالٍ من احتكار للسّلع التجارية على يد من لا ضمير لهم ولا هدف لديهم غير الرّبح السّريع. نريد رمضان نشعر فيه ببعضنا البعض. نريد شهرًا من التزاحم بين النّاس. رمضان نرى فيه التّكافل الاجتماعي على أرض الواقع، وليس على منصّات التّواصل الاجتماعي

فقط. نريد تكافلًا ينتشل الفقراء والمحتاجين من هذه الأزمات والمصاعب. نريد أن يأكل الآخرون كما نأكل، أن يشتروا كما نشتري، أن يسدّوا احتياجاتهم كما نفعل نحن أيضًا.

نريد شهرًا فضيلًا بدون المُحتكرين والفاسدين، بدون المفسدين في الأرض الذين يزيدون همّنا همًا جديدًا.

نريد رمضان نتحدث فيه أنّ المعاملة من الدين، وأنّ الدّين ليس صلاة وصيامًا وعبادة فقط. الدّين معاملة وأخلاق، محبّة ووئام.

نريد رمضان نتحدث به عن فضل من يسامح في حقه، إن كان ميسورًا. أن نذكر به فضل من يُدخل السّرور إلى قلب إنسان يُعاني الحرمان. نريد رمضان يُعبّر عن فضل من يُطعم الجائع ويكفي حاجة المحتاج.

نريد رمضان تتعزّز به أواصر الصّداقة والمحبة بين النّاس عامة، وبين أفراد الأسرة خاصة. نريد رمضان يعيد لنا قيمة وقدسيّة العائلة، رمضان للأخوة والأخوات، رمضان صلة الرّحم. نريد رمضان للأخوات وأبنائهن المتعطّشين لأحضان اخوتهنّ وأخوالهم، أخوات باحثات عن السّند والدّعم، منّا نحن الأخوة.

نريد رمضان معتدلًا بالأكل والولائم المفرطة. السّاعية لإظهار عمق جيوبنا، اللاهثة وراء "الجخّة" والغرور وإرضاء الذّات والغير. الولائم التي تذهب معظمها إلى حاويات القمامة. دعونا نكف عن هذا التبذير والإسراف وأن نضع لأنفسنا الحدود والقيود وألّا

نهدر مواردنا وأن نضعها في المكان والزّمان الصحيحين. دعونا نتجاهل "إنجازاتنا" الكبيرة بكل ما يخص "أكبر صحن مجدرة"، "وأكبر طبق كنافة". لنبق هذه "الإنجازات" بعيدًا عن شهر رمضان.

نريد رمضان بعيدًا عن المشاكل والمشاجرات والمشاحنات بين النّاس وبين أفراد العائلة. نريد رمضان عنوانًا للتسامح وضبط النّفس، رمضان زمان الذي كانت تقلّ فيه المشاكل، حتى تختفي.

نريد رمضان يعود فيه أبناؤنا إلى البيت سالمين. نريد رمضان خالٍ من الاعتداءات بعيدًا عن السّياسة ومتاعبها. رمضان بدون عنف. رمضان يأتي به الزائر إلى القدس ليصلّي ويتعبّد ويعود إلى أهله سالمًا غانمًا.

نريد رمضان منعشًا لاقتصادنا المحلّي، رمضان يعطي الفرصة لكل فرد وفرد ليربح من عرق جبينه. رمضان يعود بالفائدة على المصالح الصّغيرة، على بائع الحمص والفلافل، على صاحب البسطة المتواضعة في زاوية الطّريق، على بائع الحلويات وبائع العصائر.

نريد رمضان خاليًا من ازعاج "الفُتّيش والمفرقعات" الخطرة، والسّيارات المزعجة في الليل وساعات الفجر.

نريد رمضان آمنًا يعيد لنا ذكريات الماضي والطّفولة، ذكريات المسحّراتي الملتزم المؤدب الذي يؤدي واجبه بكل حب واحترام، لا نريد مسحّراتي "يتولدن" في ساعات الفجر ليزعج النّاس من شيوخ وأطفال وعمّال يرقدون بأمن وسلام.

نريد رمضان يُراعي الجار القريب والبعيد، رمضان المحبّة والعطف والحنان. أعيدوا لنا رمضاننا الذي عهدناه.

أعيدوا لنا رمضان الفرحة والسّرور، أعيدوا لنا رمضان الذّكريات الجميلة، أعطوا لأبنائنا فرصة ليعيشوا أجواء رمضان التي عشناها نحن في الماضي. دعونا نستقبل عيدنا بدون أن نفقد أحد أبنائنا أو بناتنا. أعيدوا لنا رمضان السّلام والمحبّة.

وهل يصح أن نختتم كلامنا بدون طرفة لرسم الابتسامة على وجوهنا؟!

ضاع حمار أحد الرّجال، فخرج إلى الجبال والوديان باحثًا عنه. فلمّا فقد الأمل في العثور عليه، رفع يده إلى السّماء ونذر إلى الله قائلًا: إذا وجدته فإنني سأصوم ثلاثة أيامٍ شكراً لله. وبعد أيام قليلة وجد الرّجل حماره فأوفى بنذره وصام ثلاثة أيام متتالية. وما إن أكمل الرّجل صيامه فإذا بالحمار يموت فجأة وبدون أي مقدمات. فغضب الرّجل غضبًا شديدًا وقال: والله لأخصمنها من شهر رمضان!

كل عام وأنتم بخير

أ.أيمن جبارة

*ملاحظة: كلمة رمضان هي كلمة ممنوعة من الصرف نحويًا.